ماقبل البداية

السطور التالية ليست مما اصطلح علي تسميته حواراً بالمعني الشائع؛ بل هي أقرب إلي محاكمة عاجلة .. كُنّا فيها الإدعاء، ونريد من كل مسلم أن يكون القاضي ليصدر الحكم موافقاً للمنهج الإسلامي القويم فالموضوع شائك، ويحتاج إلي فحص وتدبير وتدقيق .. !!

ياسر فرحات

بسم الله الرحمن الرحيم

وقفة مع الكتاب

بقلم .. الكاتب الإسلامي المعروف
الاستاذ محمد عبد الله السمان

لم يكن سلمان رشدي أول من تطاول علي الإسلام باسم «الإبداع الفني» ولن يكون آخر المتطاولين، وقد يكون من المناسب ان نشير إلي قصة الدكتور طه حسين وكتابه : «في الشعر الجاهلي» ومما جاء فيه – وقد صدر عام ١٩٢٦ – «للتوراة ان تحدثنا عن إبراهيم واسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا – أيضا – ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لايكفي لإثبات وجودهما التاريخي».

وقال الدكتور في سياق الدفاع عن نفسه : « إنني – كمسلم مؤمن بالإسلام – أعتقد بصحة ماجاء في القرآن الكريم عن إبراهيم واسماعيل » ، ولكنه – كعالم وأديب – لايؤمن ولايُقر بشئ مما تقدم « فأنا أعيش بعقلين في وقت واحد : عقلية المتدين المؤمن، وعقلية العالم الذي يكفر بما جاء به الدين ».

وهاأنت ذا تري المغالطة في التطاول وفي الدفاع عن التطاول، وموقف سلمان رشدي قريب الشبه – اثناء محاكمته – بموقف الدكتور طه حسين أثناء التحقيق معه.

وفي عام ١٩٤٧م – أي بعد أكثر من عشرين عاماً، تقدم الأستاذ محمد أحمد خلف الله بموضوع «الفن القصصي في القرآن» إلي كلية آداب القاهرة؛ للحصول علي الدكتوراه، وكان المشرف علي الرسالة الأستاذ أمين الخولي، الذي كان فكره قريباً من فكر الدكتور طه حسين، ولما كان البحث ينحو نحو إنكار واقعية القصة في القرآن، ولما تقدم الطالب بشكواه إلي وزير المعارف، أحال الدراسة إلي الشيخ محمود شلتوت، فقام بتفنيد ماجاء فيها، وبناء علي تقريره صدق علي قرار المنع.

والمهم .. أن المشرف علي الرسالة والموجه للطالب، كان يري رأي الدكتور طه حسين، الذي يدعو إلي دراسة القرآن دراسة فنية : «إذا كان من حق الناس جميعاً أن يقرأوا الكتب الدينية ويدرسوها ويتذوقوا جمالها الفني، فلم لايكون من حقهم أن يعلنوا نتائج هذا التذوق والدرس والفهم، مادام هذا الإعلان لايمس مكانة الكتب المقدسة من حيث هي كتب مقدسة، فلا يهوّن منها، ولايضعها موضع الاستهزاء والسخرية والنقد ؟ وبعبارة أوضح لمَ لايكون من حق الناس أن يعلنوا آراءهم في هذه الكتب من حيث هي موضع للبحث الفني والعلمي، بغض النظر عن مكانتها الدينية ؟

ولم تتوقف مسيرة التهجم علي الإسلام – حتي في معاقل العرب والمسلمين – وأصبح كل من هب ودب، يريد الوصول إلي عالم الشهرة والمال من أقرب السبيل .. سبيل التهجم علي الإسلام، تحت مظلة حرية الفكر وحرية الإبداع الفني. ومن يتصدي لهؤلاء المنحرفين دفاعاً عن دينه، يصبح في نظر أدعياء العلم والثقافة – يساريين كانوا أم علمانيين – متعصباً ومتزمتاً ومتطرفاً ومثيراً للفتنة.

ومنذ أسابيع .. ظهر سلمان رشدي آخر في بنجلاديش، ومنذ أكثر من ثلاثة أعوام اتضح وجود سلمان رشدي في مصر، اسمه علاء حامد، ممن لا هم في العير ولا في

النفير، كتب رواية تحت عنوان «مسافة في عقل رجل» أو «محاكمة الإله» كشف الكاتب المعروف الاستاذ أحمد بهجت عنه في ركنه اليومي «صندوق الدنيا» بجريدة الأهرام المصرية، وفي الرواية من السفه مثل مافي رواية سلمان رشدي الأصلي، ومن السفالة مايزيد علي سفالة سلمان رشدي.

إن تطاول غير المسلمين علي الإسلام، من مستشرقين ومبشرين وغيرهم، ليست القضية؛ لأن هؤلاء المتطاولين – وهم أعداء تقليديون للإسلام – حين يكتبون عن الإسلام .. يكتبون وهم متجردون من الأمانة والضمير والأخلاق، ويلجأون إلي السفسطة تارة، وإلي المغالطة تارة أخري، مدفوعين بأحقاد دفينة في نفوسهم، وأهواء تسيطر علي أفكارهم، ومن السهل كشف سوءاتهم وتفنيد مغالطاتهم.

وإنما القضية .. هي أن يتطاول علي الإسلام ويتهكم عليه، مسلمون – ولو بحكم شهادات مواليدهم – وأغلب الظن أن في قلوب هؤلاء مرضاً، وفي عقولهم خللاً، وهم يتعجلون الشهرة والمال معاً، مطمئنين إلي أن هناك بعضاً من ذوي الضمائر الميتة، والدمم اخربة، سوف يقفون إلي جانبهم، ويتعاطفون معهم.

وليس بمثير للدهشة أن تكون وسائل الإعلام في الغرب الصليبي المعادي للإسلام، قد أدت دوراً رئيسياً في منح الزائغ سلمان رشدي شهرة واسعة لم يكن يحلم بها، وأن تكون دور النشر هناك قد أغدقت عليه من المال ماسال له لعابه، وإنما المثير للدهشة أن نكون نحن – العرب والمسلمين – قد أسهمنا إسهاماً كبيراً في توسيع نطاق الشهرة لسلمان رشدي، خاصة بعد إعلان الإمام الخميني عن مكافأة لمن يقتله.

وأعتقد أنه كان يكفي أن تتكفل الهيئات الإسلامية والجمعيات المعنية في لندن، بالرد علي سلمان رشدي بنفس اللغة.

وخيراً فعل الأستاذ ياسر فرحات الكاتب المصري؛ حين قام بمحاولة، بل بمغامرة، واستطاع لقاء سلمان رشدي – وجها لوجه – في أحد المخابئ السرية بلندن، لا .. بمجرد إجراء حوار معه، بل محاكمته؛ خاصة بعد إعلانه إسلامه.

كان الأستاذ ياسر بالاتهامات التي حملها معه يمثل الإدعاء، كما كان سلمان رشدي ممتثلاً للدفاع عن نفسه ..كانت جعبة الأستاذ ياسر تضم عديداً من الاتهامات، لم يتسع الوقت المحدد، إلا لتوجيه ثلاثه وأربعين اتهاماً منها فقط، وأشار لذلك الامر في بدايه وقائع المحاكمة ..

وقد سجل في بداية الكتاب هذه العبارات، وهي من الأهمية بمكان : «السطور التالية ليست مما اصطلح علي تسميته حواراً بالمعني الشائع، بل إنها أقرب إلي محاكمة عاجلة، كنا فيها الإدعاء، ونريد من كل مسلم أن يكون القاضي ليصدر الحكم، موافقاً للمنهج الإسلامي القويم؛ فالموضوع شائك، ويحتاج إلي فحص وتدبير وتدقيق» .

والأستاذ ياسر فرحات كاتب لبق متمرس، عرفته عن كثب من خلال مكتب جريدة «المسلمون» الدولية بالقاهرة؛ حيث كان رئيسا للمكتب، وكنت أكتب للجريدة في حين لآخر، وعرفت فيه اهتمامه بقضايا الإسلام والآم شعوبه، بكل أحاسيسه ومشاعره.

لذا .. جاءته الاتهامات التي أتيحت له الفرصة لتوجيهها لسلمان رشدي لتكشف كثيراً من خبايا المتهم الفكرية المنحرفة، واضطراباته النفسية التي أدت به إلي هذا الانحراف المتعمد أو شبه المتعمد؛ بل مما كشفت عنه المحاكمة – كذلك – أن المتهم كان علي قدر كبير من المراوغة، وعلي قدر ضئيل من الصراحة والشجاعة.

بل – وفي مرات عديدة – استطاع الأستاذ ياسر فرحات – أن يضيق الخناق علي

المتهم، ويضعه في مأزق حرج لايستطيع منه انفلاتاً – كما يقولون –، ولم يستطع المتهم بكل ماأوتي من مراوغة أن يفلت من حصار الأستاذ ياسر فرحات.

• • •

بقيت بعض النقاط :

أولاً :

أن التعلة التي تعلل بها المتهم، وبمقتضاها، يعجز عن سحب بقية نسخ الكتاب من السوق؛ لأن المسألة في يد الناشر – هي تعله هافتة مردودة – في استطاعته لوكان صادقاً في توبته، أن يبادر بتأليف كتاب آخر، يثبت فيه رجوعه عن أفكاره في كتابه السابق الآثم.

إن الأستاذ خالد محمد خالد ألف كتابه «من هنا نبدأ» في عام ١٩٥٠م، سار فيه علي نهج الشيخ علي عبد الرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم» الذي قرر فيه أن الإسلام دين فحسب، وليس دولة، وبعد زَهاء أربعين عاماً .. رجع الأستاذ خالد عن آرائه، وأصدر بذلك كتاباً جديداً آخر يؤكد فيه : إن الإسلام دين ودولة معاً، وماكان من الآستاذ خالد كان شجاعة أدبية، نتمني أن تتوافر في المتهم سلمان رشدي.

ثانيا :

إن إدعاء المتهم بأنه لم يكن مسلماً قبل أن يكتب، كتابه الآثم، وأنه قد أعلن

إسلامه أخيرا، لون من المراوغة غير الذكية، ولا أعتقد أن هذه الفكرة من بنات أفكاره، لقد قيل له :

القاعدة أن الإسلام يَجُبُّ ماقبله ..

وبذلك ينجو من المسائلة.

• • •

وأخيراً .. وليس آخراً :

كان الاستاذ ياسر فرحات موفقاً، حين ضمن الكتاب محاضرة المجاهد المسلم الشيخ أحمد ديدات، التي ألقاها في لندن، وفيها كشف عن ضحالة فكر سلمان رشدي القزم، والحق أن المجاهد المسلم أثبت أنه من أقدر المفكرين علي هتك أضاليل ذلك الآثم وكشف سترها، وسوف يستمتع القارئ بماقاله الشيخ ديدات.

وخلاصة القول :

إن الإسلام سيظل بعون الله شامخاً كالطود، لن تؤثر فيه أضاليل المضـــلين، ولا سفالة السافلين، ولا أباطيل المبطلين.

وصدق الله العظيم :

«فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ماينفع الناس فيمكث في الإرض .. كذلك يضرب الله الامثال».

محمد عبد الله السمان

القاهرة

الاقتحام مباغتاً .. ! !

لم يدرك سلمان رشدي انه اقتحام تام، وليس مجرد حوار، إلا بعد أن انهالت الأسئلة عليه.

● لقد تصور سلمان أن محاوره جاء ليشد علي يده، أو جاء يبلغه بقرار العفو، أو ليشعره بشئ من الأمن والهدوء، لقد كانت مهمة زميلنا ياسر فرحات، هي : التحري والبحث وليس مجرد «جهاز كاسيت وبعض فلاشات من الكاميرا الصغيرة».

ورغم أن البعض يصور سلمان علي أنه «الفيلسوف» والمتحدث البارع، ورغم أن سلمان نفسه يظن ذلك .. فقد جاء الافتحام مباغتاً، وليم يكن أمام سلمان رشدي سوي الاعتراف !

جريدة المسلمون الدولية

٣رجب ١٤١١ - ١٨ يناير ١٩٩١

● رغم مرور أربعة أعوام فما تزال موجات الغضب هادرة في العالم الإسلامي، أكثر من ألف وأربعمائة وأربعين يوماً مرت، وفي كل يوم أربع وعشرون ساعة، وفي كل ساعة ستون دقيقة، وفي كل دقيقة .. يلعن المسلمون في جميع أنحاء العالم ذلك الاسم، الذي تجرأ وما كان له أن يهز قيد أنملة من دعائم الدين الحق.

ولكن .. الغضب علي سلمان رشدي ومؤلَفه الباطل «آيات شيطانية» دار حول محور واحد : كيف يجرؤ شخص علي الإساءة لدين الله ورسوله الخاتم محمد صلي الله عليه وسلم .. ؟ !

وكالجرذان المذعورة .. اختبأ الكاتب البريطاني في أحد الجحور الوثيرة، وهو يلعق جراحه، ويخاف من غضبة هادرة، مازالت مستمرة.
الحراس من حوله، وأحدث الأجهزة تحميه، وأفضل العقول تموه مكان إقامته، ولكنه يظل رغم كل هذا .. خائفاً.

خائف هو .. من أي لقطة .. خائف ممن يصافحه .. خائف من كوب يجرع فيه شرابه، وخائف حتي من حراسه؛ فالغضب مازال مستمرا والخوف يحاصره.

ووسط موجات الغضب، ورجفات الخوف .. خرج سلمان رشدي فجأة، ليُعلن أمام عدد من العلماء دخوله الإسلام، نافياً عنه تهمة الردة، ومؤكداً أنه لم يكن مسلماً من قبل.

وكما أثارت أباطيله الشيطانية موجات من رد الفعل .. أثار إعلانه دخول الإسلام أيضاً موجات من رد الفعل.

ولكن إذا كان الغضب قد اتحد في الأولي .. فإن علامات الاستفهام قد أطلت برؤوسها متكاثرة في المرة الثانية :

هل تعد محاولة للخروج من المأزق ؟

هل تاب وأناب وعاد إلي عقله ؟

هل ما أعلنه يمنع تنفيذ فتوي إهدار دمه .. أم كما يري البعض لا يمنعها ؟

وكان التدفق الإعلامي الغربي مُذهلاً، متناقضاً متبايناً، يسوده عنصر واحد هو عدم الفهم. ولكن ولأن الأمر بالجد، وليس بالهزل، والخطير ليس بالهين .. لم يكن ممكناً الاكتفاء بمجرد قراءة قصاصات الوكالات الغربية، والاستماع لتقارير محطات الإذاعة الأوربية، ومشاهدة البرامج التليفزيونية، التي تبثها الأقمار الصناعية، والتي قالت إنه تراجع عما كتبه واعتنق الإسلام.

وكان السؤال الذي يُلح عليَّ في ذاك الوقت، لحظة إعلانه الدخول في دين الله الحق – وكنت وقتذاك مسؤولاً عن تحرير جريدة «المسلمون» الدولية، الصادرة عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق بالقاهرة – هل سنقف إزاء هذا كله مشاهدين، أم نقتحم المجهول؛ لنقف بأنفسنا علي حقيقة الأمر، وتحري صدق من كفر به.

وكان القرار .. المواجهة .. وجهاً لوجه مع صاحب الآيات

الشيطانية .. في أول محاكمة من نوعها، تعقد لسلمان رشدي، منذ خرج بمؤلفه الباطل علي العالم..

وبفضل من الله وتوفيقه وبرغم كل الصعاب .. واجهته بثلاثة واربعين اتهاماً من الاتهامات التي تدور في ذهن كل مسلم في مخبأ سري بأحد ضواحي العاصمة البريطانية ..

فجاءت المحاكمة كشفاً لكثير من الغموض .. أضع – عزيزي القارئ – بين يديك التفاصيل الكاملة لها .. مسبوقة بحيثيات المحاكمة ودوافعها .. وأراء العلماء والمفكرين والكتاب ..

ليكن المسلمون هم قُضاة القضية، كما كانوا شهودها من قبل.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ؛

ياسر فرحات

القاهره

١٩٩٢/٧/١٠